بر الوالدين

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ [لقمان: ١٤].

1- عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ : أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: **«الصلاة على وقتها»** [1] فلت ثم أي؟ قال: **«بر الوالدين»** قلت: ثم أي؟ قال: **«الجهاد في سبيل الله»** متفق عليه[2].

2- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا يجزي[3] ولدٌ ولداً إلا أن يجده مملوكاً، فيشتريه، فيعتقه»** رواه مسلم[4].

3- وعنه رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: **«أمك»** قال: ثم من؟ قال: **«أمك»** قال: ثم من؟ قال: **«أمك»** قال: ثم من؟ قال: **«أبوك»** متفق عليه[5].

وفي رواية: يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة؟ قال: **«أمك ثم أمك، ثم**

---

(1) وفي رواية: "لوقتها" واللام بمعنى في، أي الصلاة في وقتها المحدد لها شرعاً.

(2) البخاري 336/10، ومسلم (85).

(3) "لا يجزي" يفتح أوله ولا همزة في آخره: أي: لا يكافئ.

(4) مسلم (1510) وأخرجه أبو داود (5137) والترمذي (1907).

(5) البخاري 336/10، ومسلم (2548)، ومقتضى الحديث أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، وكأن ذلك لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الإرضاع. وقال القرطبي: إن الأم تستحق الحظ الأوفر من البر، وتقدم في ذلك على حق الأب عند الرحمة.

أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك».

والصحابة بمعنى: الصحبة. وقوله: **«ثم أباك»** هكذا هو منصوب بفعل محذوف، أي: ثم أباك وفي رواية: **«ثم أبوك»** [1] وهذا واضح.

4- وعنه عن النبي ﷺ قال: **«رغم أنف** [2]**، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»** رواه مسلم[3].

5- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغي الأجر من الله تعالى. قال: **«فهل لك من والديك أحد حي؟»** قال: نعم بل كلاهما قال: **«فتبتغي الأجر من الله تعالى؟»** قال: نعم. قال: **«فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما»** متفق عليه[4]. وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد فقال: **«أحي والداك؟»** قال: نعم، قال: **«ففيهما فجاهد»** [5].

6- وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ [6]، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: **«نعم صلي أمك»** متفق عليه[7].

وقولها: **«راغبة»**، أي: طامعة فيما عندي تسألني شيئاً، قيل كانت أمها من النسب، وقيل: من الرضاعة والصحيح الأول.

7- وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة

---

(1) هي عند البخاري.

(2) رغم أنف: هذا كناية عن الذل، كأنه لصق بالرغام وهو التراب هوانا.

(3) مسلم (2551).

(4) البخاري 97/6، 98 و338/10، ومسلم (2549)، وأخرجه أبو داود (2529)، والنسائي 10/6 و143/7.

(5) المراد بالجهاد فيهما جهاد النفس في وصول البر إليهما، والتلطف بهما، وحسن الصحبة، والطاعة وغير ذلك، وفي الحديث دليل لعظم فضيلة بر الوالدين، وأنه آكد من الجهاد، إذا كان فرض كفاية، فيحرم عليه أن يجاهد إلا بإذنهما، أما إذا تعين فلا إذن.

(6) أي: معاهدته مع المشركين في الحديبية.

(7) البخاري 170/5، 172 و346/10 و347، ومسلم (1003)، وأخرجه أبو داود (1668).

هرقل قال لأبي سفيان: فماذا يأمركم به؟ يعني النبي ﷺ قال: قلت: يقول: **«اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة»** متفق عليه[1].

8- وعن ابن عمر رضي الله عنها قال: كانت تحتي امرأة، وكنت أحبها، وكان عمر يكرهها، فقال لي: طلقها، فأبيت، فأتى عمر رضي الله عنه النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ : **«طلقها»** رواه أبو داود، والترمذي[2] وقال: حديث حسن صحيح.

9- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت، فأضع ذلك الباب، أو احفظه»** رواه الترمذي[3] وقال: حديث حسن صحيح.

10- وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«الخالة بمنزلة الأم»** رواه الترمذي[4] وقال: حديث حسن صحيح.

تحريم العقوق:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

1- عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»** - ثلاثاً - قلنا: بلى يا رسول الله ﷺ : قال: **«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»** وكان متكئاً فجلس، فقال: **«ألا وقول الزور وشهادة الزور»** فما زال

(1) البخاري 34/1، ومسلم (1773).
(2) أبو داود (5138)، والترمذي (1189)، وأخرجه أحمد (4711) وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (2024).
(3) الترمذي (1901) وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (2023).
(4) الترمذي (1905) وأخرجه البخاري 385/7، 391 ضمن حديث طويل، وأخرجه أبو داود (2280) من حديث علي.

يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه[1].

2- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»** رواه البخاري[2].

اليمين الغموس التي يحلفها كاذباً عامداً، سميت غموساً، لأنها تغمس الحالف في الإثم.

3- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من الكبائر شتم الرجل والديه!»** قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: **«نعم؛ يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه»** متفق عليه[3].

وفي رواية **«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه!»** قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟! قال: **«يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه»**.

4- وعن أبي عيسى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»** متفق عليه[4].

قوله: "منعاً" معناه: منع ما وجب عليه و"هات": طلب ما ليس له. و"وأد البنات" معناه: دفنهن في الحياة، و"قيل وقال" معناه: الحديث بكل ما يسمعه، فيقول: كذا، وقال فلان كذا مما لا يعلم صحته، ولا يظنها، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع. و"إضاعة المال": تبذيره وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا، وترك حفظه مع إمكان الحفظ. و"كثرة السؤال": الإلحاح فيما لا حاجة إليه.

بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه [5]:

1- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«إن أبر البر أن يصل الرجل**

(1) البخاري 342/10، 345، ومسلم (87).
(2) البخاري 483/11.
(3) البخاري 338/10، ومسلم (90)، وأخرجه أحمد 164/2.
(4) البخاري 51/5، ومسلم 1341/3.
(5) المصدر السابق ص185.

ود أبيه» [1] رواه مسلم.

2- وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، وقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن البر صلة الرجل ود أبيه»**.

وفي رواية عن ابن دينار عن ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح[2] عليه إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينا هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي، فقال: ألست فلان بن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار، فقال: اركب هذا، وأعطاه العمامة وقال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي»** [3] وإن أباه كان صديقاً لعمر رضي الله عنه، روى هذه الروايات كلها مسلم[4].

3- وعن أبي أسيد - بضم الهمزة وفتح السين - مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: **«نعم، الصلاة عليهما** [5]**، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»** رواه أبو داود[6].

4- وعن عائشة رضي الله عنها قال: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة رضي الله عنها، وما رأيتها قط، ولكن يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة،

---

(1) ود أبيه - بضم الواو وتشديد الدال المهملة -: أي: صديقه.
(2) أي: يستريح عليه إذا مل، أي: سئم ركوب الراحلة من الإبل.
(3) أي: بعد أن يموت.
(4) مسلم (2552) و(12) و(13)، وأخرجه الترمذي (1904)، وأبو داود (5143).
(5) أي: الدعاء لهما.
(6) أبو داود (5142)، وأخرجه ابن ماجة (3664)، وابن حبان (2030)، وفي سنده علي بن عبيد الساعدي لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات.

ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت لـه: كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة! فيقول: **«إنها كانت وكانت [1] وكان لي منها ولد»** متفق عليه[2].

وفي رواية وإن كان ليذبح الشاء، فيهدي في خلائلها[3] منها ما يسعهن.

وفي رواية كان إذا ذبح الشاة يقول: **«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»**.

وفي رواية قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة[4]، فارتاح لذلك فقال: **«اللهم هالة بنت خويلد»**.

قولها: "فارتاح" هو بالحاء، وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي: "فارتاع" بالعين ومعناه: اهتم به.

5- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه في سفر، فكان يخدمني[5] فقلت لـه: لا تفعل، فقال: إني رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئاً آليت على نفسي أن لا أصحب أحداً منهم إلا خدمته. متفق عليه[6].

أهمية بر الوالدين [7] :

يقوم الإسلام على الرحمة والتكافل لين أفراده ولذلك يهتم ببر الوالدين والإحسان إليهما والعناية بهما، وهو بذلك يسبق النظم المستحدثة في الغرب مثل "عيد الأم" و"رعاية الأمومة والمسنين". وقد جاء الإسلام بأوامر صريحة تلزم المؤمن ببر والديه

---

(1) أي: يثني عليها بأفعالها. و"كان لي منها ولد": أي: أولاد وكان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة إلا إبراهيم فإنه كان من مارية.

(2) البخاري 102/7، 103، ومسلم (2435) و(2437) وفي الحديث دلالة لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حياً ومستاً وإكرام معارف ذلك الصاحب.

(3) جمع خليلة وهي الصديقة.

(4) أي: تذكر خديجة، لأن نغمتها تشبه نغمة خديجة. "فارتاح لذلك" أي: هش لمجيئها، وسر به لتذكره بها خديجة وأيامها.

(5) أي: وهو أسن مني. وقولـه: "شيئاً" أي: عظيماً لا تفي العبارة بتفصيله. وقولـه: آليت... أي: أقسمت ألا أصحب أحداً منهم إلا خدمته إكراماً للنبي صلوات الله وسلامه عليه.

(6) البخاري 62/6، ومسلم (2513).

(7) أصول المنهج الإسلامي ص225 - 228.

وطاعتهما ما لم يأمرا بمعصية قال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقرن برهما بالأمر بعبادته في كثير من الآيات. برهان ذلك قوله تعالى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**» (رواه الشيخان). وما ذكر الله الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده إلا لأن حقهما عظيم وبرهما واجب.

أنواع البر:

وأنواع البر كثيرة منها:

1- أن لا يتضجر منهما ولو بكلمة أف بل يجب الخضوع لأمرهما وخفض الجناح لهما ومعاملتهما باللطف.

2- شكرهما الذي جاء مقروناً بشكر الله والدعاء لهما لقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

3- اختصاص الأم بمزيد البر لحاجتها وعظم شأنها وتعبها في الولادة والحل والرضاعة. والبر يكون بمعنى حسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة والصلة لقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

4- الإحسان إليهما في القول والعمل والأخذ والعطاء وتفضيلهما على النفس والزوجة وتقديم أمرهما وطلبهما ومجاهدة النفس برضاهما حتى وإن كانا غير مسلمين لقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى

ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾ [لقمان: ١٥].

5- رعايتهما ولاسيما عند الكبر وملاطفتهما وإدخال السرور عليهما.

6- الإنفاق عليهما عند الحاجة قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

7- استئذانهما قبل السفر وأخذ موافقتهما إلا في حج فرض.

8- الدعاء لهما بعد الموت وبر صديقهما وإنفاذ وصيتهما.

فضل بر الوالدين:

وفي فضل بر الوالدين وكونه مقدماً على الجهاد ومكفراً للذنوب ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله ؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة»** (رواه مسلم والترمذي). وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: **«الصلاة على وقتها. قلت ثم أي؟ قال بر الوالدين. قلت ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله»** (متفق عليه).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. فقال: هل من والديك أحد حي؟ قال نعم بل كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال: نعم. قال: فارجع فأحسن صحبتهما. (متفق عليه). وهذا لفظ مسلم وفي رواية لهما جاء رجل فاستأذنه في الجهاد. فقال أحي والداك قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد»** (رواه الترمذي).

وفي البر منجاة من مصائب الدنيا كما ورد في حديث أصحاب الغار وكان أحدهم باراً بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده. وعكس البر هو العقوق ونتيجته الحرمان من الجنة لحديث أبي محمد جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة قاطع»**.

قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم (رواه البخاري ومسلم) والعقوق هو العق

والقطع وهو من الكبائر (بل كما وصفه الرسول ﷺ) من أكبر الكبائر - وفي الحديث المتفق عليه وجدت أن العقوق يأتي مباشرة بعد الإشراك بالله.

والعق لغة هو المخالفة وضابطه عند العلماء أن يفعل مع والديه ما يتأذيان منه تأذياً ليس بالهين وتوسيعاً لدائرة البر اعتبر رسول الله ﷺ الخالة بمنزلة الأم لما ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«الخالة بمنزلة الأم»** (رواه الترمذي) وقال حديث صحيح.

وهذا في طلب إرضائها وصلتها وليس في تقسيم الميراث وفي الترمذي بإسناد صحيح حديث الرجل الذي أصاب ذنباً عظيماً وجاء يسأل هل له من توبة؟ وجواب النبي ﷺ هل لك من أم؟ قال لا ثم قال: هل لك من خالة؟ قال نعم قال: فبرها.

البر بعد الموت:

وبر الوالدين لا يقتصر على فترة حياتهما بل يمتد إلى ما بعد مماتهما ويتسع ليشمل ذوي الأرحام وأصدقاء الوالدين. فقد روى أبو داود والبيهقي **«جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما»**.

واجبنا نحو الوالدين وبماذا يكون برهم؟:

إن الحمد لله ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله تعالى وقوموا بما أوجب الله عليكم من حقه وحقوق عباده ألا وإن أعظم حقوق العباد التي تلي حق الله المتضمن لحقه وحق رسوله فقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ [لقمان: ١٤] وبين العلة في ذلك إغراء للأولاد وحثاً لهم على الاعتناء بهذه الوصية فقال: ﴿ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ ﴾ [لقمان:

١٤]. أي ضعفاً على ضعف ومشقة على مشقة في الحمل وعند الولادة ثم في حضنه في حجرها وإرضاعه قبل انفصاله فقال تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] ولقد جعل النبي ﷺ بر الوالدين مقدماً على الجهاد في سبيل الله. ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي ﷺ أي العمل أحب على الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال: بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله. وفي صحيح مسلم أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله قال فهل من والديك أحد حي قال نعم بل كلاهما قال فتبغي الأجر من الله قال نعم قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما. وفي حديث إسناده جيد أن رجلاً قال يا رسول الله إني اشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال نعم أمي قال قابل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد. وقد أوصى الله تعالى بصحبة المعروف للوالدين في الدنيا وإن كانا كافرين بل وإن كانا يأمران ولدهما المسلم أن يكفر بالله لكن لا يطيعهما في الكفر فقال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أي بذلا جهدهما ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ [لقمان: ١٥]. وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت علي أمي وهي مشركة وكان أبو بكر قد طلقها في الجاهلية فقدمت على ابنتها أسماء في المدينة بعد صلح الحديبية قالت أسماء فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قدمت علي أمي وهي راغبة - أي راغبة في أن تصلها ابنتها أسماء بشيء - أفأصل أمس يا رسول الله قال: نعم صلي أمك.

أيها المسلمون إن بر الوالدين يكون ببذل المعروف والإحسان إليهما بالقول والفعل والمال أما الإحسان بالقول فأن تخاطبهما باللين واللطف مستصحباً كل لفظ يدل على اللين والتكريم، وأما الإحسان بالفعل فأن تخدمهما ببدنك ما استطعت من قضاء الحوائج والمساعدة على شؤونهما وتيسير أمورهما وطاعتهما في غير ما يضرك في دينك أو دنياك والله أعلم بما يضرك في ذلك فلا تفت نفسك في شيء لا يضرك بأنه يضرك ثم تعصمهما في ذلك.

وأما الإحسان بالمال فأن تبذل لهما من غير متبع له بمنة ولا أذى بل تبذله وأنت ترى أن المنة لهما في ذلك في قبوله والانتفاع به.

وإن بر الوالدين كما يكون في حياتهما يكون أيضاً بعد مماتهما فقد أتى رجل من بني سلمة إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما قال: **«نعم الصلاة عليهما - يعني الدعاء لها - والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما - أي وصيتهما - من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما»** (رواه أبو داود). الله أكبر ما أعظم بر الوالدين وأشمله حتى إكرام صديقهما وصلته من برهما.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه كان يسير في طريق مكة راكباً على حمار يتروح عليه إذا مل الركوب على الراحلة فمر به أعرابي فقال: أنت فلان بن فلان قال: بلى فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا وأعطاه عمامة كانت عليه وقال: اشدد بها رأسك فقالوا لابن عمر: غفر الله لك أعطيته حماراً كنت تروح عليه وعمامة تشد بها رأسك فقال ابن عمر: إن هذا كان صديقاً لعمر وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه.

آثار البر:

أيها المسلمون هذا بيان منزلة البر وعظيم مرتبته أما آثاره فهي الثواب الجزيل في الآخرة والجزاء بمثله في الدنيا فإن من بر بوالديه بر به أولاده. وتفريج الكربات، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانطبقت عليهم صخرة فسدته عليهم فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم أن يفرج عنهم فقال أحدهم اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت غبوقهما فوجدتهما نائمين فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت قليلاً وتوسل صاحباه بصالح من أعمالهما فانفجرت كلها وخرجوا يمشون. وإن في بر الوالدين سعة الرزق وطول العمر وحسن الخاتمة فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه»**. (إسناده جيد) وبر الوالدين أعلى صلة الرحم لأنهما أقرب الناس إليك رحماً.

أيها المسلمون إنه لا يليق بعاقل مؤمن أن يعلم فضل بر الوالدين وآثاره الحميدة في

الدنيا والآخرة ثم يعرض عنه ولا يقوم به أو يقوم بالعقوق والقطيعة فلقد نهى الله تعالى عن عقوق الوالدين في أعظم حال يشف على الولد برهما في فيها فقال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]. ففي حال بلوغ الوالدين الكبر يكون الضعف البدني والعقلي منهما وربما وصلا إلى أرذل العمر الذي هو سبب للضجر والملل منهما وفي حال كهذه نهى الله الولد يتضجر أقل تضجر من والديه وأمره أن يقول لهما قولاً كريماً وأن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة فيخاطبهما مخاطبة من يستصغر نفسه أمامهما ويعاملهما معاملة الخادم الذي ذل أما سيده رحمة بهما وإحساناً إليهما ويدعو الله لهما بالرحمة كما رحماه في صغره ووقت حاجته فربياه صغيراً.

إن على المؤمن أن يقوم ببر والديه وأن لا ينسى إحسانهما إليه حين كان صغيراً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وأمه تسهر الليالي من أجل نومه وترهق بدنها من أجل راحته وأبوه يجوب الفيافي ويتعب فكره وعقله وجسمه من أجل حصوله على معاشه والإنفاق عليه ولكل منهما بر بجزاء عمله. ففي الصحيحن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك.

وفقنا الله جيمعاً أمهاتنا وآبائنا ورزقنا في ذلك الإخلاص وحسن القصد والسداد إنه جواد كريم[1].

حقوق الوالدين:

لا ينكر أحد فضل الولدين على أولادهما فالوالدان سبب وجود الولد ولهما عليه حق كبير فقد ربياه صغيراً وتعباً من أجل راحته وسهرا من أجل منامه. تحملك أمك في بطنها وتعيش على حساب غذائها وصحتها لمدة تسعة شهور غالباً، كما أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤].

ثم بعد ذلك حضانة ورضاع لمدة سنتين مع التعب والعناء والصعوبة.. والأب كذلك

(1) خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين ص501.

يسعى لعيشك وقوتك من حين الصغر حتى تبلغ أن تقوم بنفسك ويسعى بتربيتك وتوجيهك وأنت لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً، ولذلك أمر الله الولد بالإحسان بوالديه إحساناً وشكراً.

فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

إن حق الوالدين عليك أن تبرهما وذلك بالإحسان إليهما قولاً وفعلاً بالمال والبدن، وتمتثل أمرهما في غير معصية الله وفي غير ما فيه ضرر عليك، تلين لهما القول وتبسط لهما الوجه وتقوم بخدمتهما على الوجه اللائق بهما ولا تتضجر منهما عند الكبر والمرض والضعف ولا تستثقل ذلك منهما فإنك سوف تكون بمنزلتهما، سوف تكون أباً كما كانا أبوين، وسوف تبلغ الكبر عند أولادك إن قدر لك البقاء كما بلغاه عندك وسوف تحتاج إلى بر أولادك كما احتاجا إلى برك، فإن كنت قد قمت ببرهما فأبشر بالأجر الجزيل والمجازاة بالمثل فمن بر والديه بره أولاده، ومن عق والديه عقه أولاده والجزاء من جنس العمل فكما تدين تدان. ولقد جعل الله مرتبة حق الوالدين مرتبة كبيرة عالية حيث جعل حقهما بعد حقه المتضمن لحقه وحق رسوله.

فقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقدم النبي ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. رواه البخاري ومسلم.. وهذا يدل على أهمية حق الوالدين الذي أضاعه كثير من الناس وصاروا إلى العقوق والقطيعة فترى الواحد منهم لا يرى لأبيه ولا لأمه حقاً وربما احتقرهما

وازدراهما وترفع عليهما وسيلقى مثل هذا جزاءه العاجل أو الآجل[1].

* * *

(1) حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة ص11 - 14.